تداعيات المشكلة الصحراوية على دول المغرب العربي والى أين؟

م.م. عادل خليل حمادي

كلية الشريعة والقانون

المقدمة

اكتسبت المشكلة الصحراوية في المغرب العربي والتي أزّمت الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلاقات الثنائية بين الدول المعنية المغرب– موريتانيا– الجزائر أهمية خاصة والاهتمام الواسع اقليميا ودوليا باعتبارها أزمة خلفها الإرث الاستعماري الاسباني وخلف وراءه نزاعات اقليمية حادة كادت تصل إلى حد النزاع المسلح، كما أن الصحراء الغربية لما تتمتع به من موقع استراتيجي باعتبار تأثيرها المباشر على أهم ممر مائي دولي (مضيق جبل طارق).

كما كانت الموارد التي تكتنزها الصحراء جعلها محور من المحاور الساخنة في العلاقات الدولية واكسبها سمة الديمومة ومنذ نصف قرن مضى لا تزال هذه المشكلة تثير التساؤلات عن المدى الذي تبقى فيها الأزمة دون حل وتسوية يرضي الأطراف جميعاً كما لعبت دوراً مباشراً في تعطيل قدرات المغرب العربي ككل من الارتقاء والتقدم العلمي.

وقد تناولنا المشكلة الصحراوية من حيث تسليط الأضواء على كافة المؤثرات عليها التاريخية والجغرافية والاقتصادية والجيوبوليتيكية على مشرحة البحث لنتلمس الأسباب الحقيقية التي أثرت بها لتكون أهم قضية تعصف بالوطن العربي بعد المشكلة الفلسطينية ولقد حاولت استقراء الوضع التاريخي والجغرافي والاقتصادي لإظهار الحقيقة بشكل أفضل وأدق متوخيا الموضوعية والحيادية لاسيما وان هذه المشكلة تناولتها المحافل الدولية منذ الخمسينيات حتى قرار الانسحاب الاسباني من الصحراء عام ١٩٧٦م.

ولابد في نهاية البحث من أن يتضمن متنه الاستنتاجات التي خلصت إليها من جراء تناولي هذه المشكلة الديناميكية والمعقدة والمتداخلة في مؤثراتها الإقليمية والدولية.

المبحث الأول
الحالة الطبيعية والاجتماعية لإقليم الصحراء الغربية

أولاً: طبيعة الصحراء الغربية

تقع الصحراء الغربية على امتداد الجزء الشمالي للشاطئ الغربي لأفريقيا وحتى الحدود الموريتانية الجناح الغربي للوطن العربي وتبلغ مساحتها (٢٦٦) الف كم^{٢} ويبلغ طول

ساحلها ١٠٦٢كم تحدها من الشمال المغرب ٤١٥٠ كم وشرقاً الجزائر بطول ٦٠كم في حين تمتد مع موريتانيا بطول (٢٠٤٥) كم وتتكون من ثلاث أقاليم أدارية هي:

١- منطقة سماره مساحتها ٥٦ الف كم٢.

٢- منطقة العيون ومساحتها ٢٦ ألف كم٢.

٣- منطقة الداخلة (فيلاسيز نروس) ومساحتها ١٨٤ ألف كم٢.

يبلغ عدد سكان الصحراء الغربية بموجب إحصاء ١٩٧٤ (٩٥,٠١٩) نسمة أما من الناحية الجغرافية فتقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

١- الساقية الحمراء وتشمل المنطقة من رأس جوبي إلى بوجادور.

٢- وادي الذهب (ريودورو) وتشمل المنطقة الممتدة من جنوب الساقية الحمراء ومساحتها (٨٢) ألف كم٢[١].

أراضي الصحراء الغربية جرداء مرتفعة معظمها من صخور الغرانيت الأسود وتشكل المنطقة الصخرية والغرينية المستوية مع امتدادات واسعة من الأراضي المالحة وتدعى (السنجة) جراء تبخر المياه من المسطحات المائية الفصلية ولا توجد فيها أنهار دائمة الجريان ومعدل هطول المطر عليها ٠,٦ ملم مع درجة حرارة متغيرة فصلياً بل ليلاً عن النهار بين ١٤٩ إلى ٣٢ درجة فهرنهايتية[٢].

ثانياً: الحالة الاجتماعية لسكان الصحراء الغربية

العائلة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية من البناء الاجتماعي للسكان ويشكل (الفخذ) أهمها ومجموعة الأفخاذ تدعى العشيرة ثم القبيلة وصلاتها قد تعبر الحدود الطبيعية للصحراء نحو المغرب وموريتانيا وهناك ثلاث قبائل أساسية في المجتمع الصحراوي:

١-قبيلة الرقيبات وتسكن الساقية الحمراء يبلغ تعدادهم أكثر من ٢٠ ألف شخص وهم بدو رحل يجوبون الصحراء وللرقيبات توابع أهمها:

أ. رقيبات السواحل وتحت لواءها أولاد دلود ورقيبات الشرق والقاسم وأولاد طالب والموذنين.

ب. الجدع الثاني أفخاذ البيهات وأهل إبراهيم[٣].

٢- قبائل الدليم.

تتواجد في الجنوب الغربي من أقليم وادي الذهب وأهم أفخاذ هم (الشناكلة، وأيموراغن، والمناصر مصدر معيشتهم هو الصيد البحري عدا المناصر فهي تعتني بتربية الماشية[٤].

٣- قبائل التكنا:

تتكون من اثنا عشر فخذاً وهي مزيج من العرب والبربر ولها قسمين أساسيين:

أ. آيت الجمال عربية.

ب. آية يلا بربرية.

ومن قبائلها ماء العينين وقيلانه وتوبالت.

ويتحدث سكان الصحراء اللغة العربية ممزوجة بمفردات بربرية بما يقارب من ١٧-٢٥٪ يطلق عليها الحسانية[٥].

المبحث الثاني
□ الأهمية الاقتصادية للصحراء الغربية

تعتبر المواد الأولية لأية دولة في العالم هي ركيزة القوة الوطنية ومعدل أنتاجها وقيمته يستخدم للتمييز بين الدول الغنية والفقيرة وخاصة إذا تميزت باحتوائها على السلع الاستيراتيجية كالنفط والحديد واليورانيوم والفوسفات بل وحتى الإنتاج الزراعي أصبح من السلع الاستيراتيجية كالحنطة والشعير والرز وفول الصويا والذرة الصفراء بعد أن أصبحت الأخيرة مادة أساسية في أنتاج الطاقة والتي يطلق عليها بـ(الوقود الحيوي)، إذن فما الذي يميز الصحراء الغربية من سلع استيراتيجية لتكون هذه أحدى مؤثرات النزاع عليها وأهم تلك الموارد ما يلي:

١- الفوسفات:

معظم حقول الفوسفات في منطقة (بوكراع) أكتشفها البروفسور الأسباني (مانوئيل مديبا) عام ١٩٤٧م وأجرت أسبانيا مسحا طوبوغرافياً للصحراء اكتشفت وجود الفوسفات ضمن منطقة عرض ٢٦°، ٢٧° وخط طول ١٣,٣٠° -١٣,٠° غرب غرينتش بنسبة عالية ضمن طبقة الأيوسيسن بل وتظهر على السطح مباشرة عند نهر بوكراع وآيتقي[٦] والجدير بالذكر أن أحتياط العالم من الفوسفات يقدر ٣٧ مليار و ٨٣٠ مليون طن يشكل الاحتياط

الأفريقي ١٨ مليار طن و٤ مليار طن في أسيا و١٠ مليار طن في الولايات المتحدة في حين يكمن في الصحراء الغربية مليار و٧٠٠ مليون طن لوحدها وفي الاقتصاد المغربي يمثل الفوسفات ٦٠٪ من عملتها الصعبة، ترى كم سيصبح احتياطيها في حالة ضم الصحراء الغربية إليها وتستحوذ الشركة الأسبانية المعروفة (ENMINSA) على أنتاجه بواسطة شريط متحرك لمساحة ٦٠كم من بوكراع وحتى العيون[٧].

وتمكن الروس من تحويل الفوسفات إلى يورانيوم تضاعفت أهميته الاقتصادية والعسكرية وأصبح من السلع الإستراتيجية.

٢- النفط:

صدر في العام ١٩٥٨ قانون أسباني يقضي بتحديد مناطق استثمار النفط مع الشركات الأجنبية بشكل متساو وقد باشرت شركة (CEPSA) وهي شركة مشتركة أسبانية مع شركة كولف أويل ومنحتها الحكومة الأسبانية ٦٠٪ من المناطق المحدودة[٨] واستخراج النفط من العمق البحري للصحراء المحدد بدرجة (١/١٥١) على عمق (٣٤٤٦) متراً بعد اكتشافه من قبل الباخرة (كومار٣) كما يوجد حقول للنفط في شمال مدينة العيون[٩] ودخلت شركات أوربية الاستخراج مثل شركة ترانس صحارى، ترانس أمريكا، وشركة كامبريد وشركة أسوا وتوتال وبريتش بتروليوم.

٣- الحديد:

كمية الاحتياطي من خامات الحديد في المنطقة الصحراوية يقدر بـ(٧٠٠) مليون طن وتقع مناجم الحديد في منطقة أزميلة وغرامشة وحددت شركة أطلسي للإنتاج أمكانية الوصول إلى ٨٠٠ مليون طن[١٠] ويبلغ نسبة النقاوة في التراب الصحراوي من الحديد إلى ٦٥٪.

٤- اليورانيوم:

منطقة سماره تحتوي على مكامن واسعة من اليورانيوم الخام وقد شددت السلطات الإسبانية الحراسة على هذهِ المنطقة على مدار الساعة وبواسطة الطائرات الحوامة، واليورانيوم هو الطاقة المستقبلية للوقود في العالم بعد أن ثبت بأن النفط مادة قابلة للنضوب.

٥- الثروة الحيوانية:

على الرغم من جدب الصحراء إلا أن واحاتها تضم مناطق سهلية تزدهر فيها تربية المواشي وتقدر الثروة الحيوانية فيها بما يعادل (٦٢,١٤١ جمل، ١٢٣,٠٠٠ ماعز وعشرة آلاف من المواشي) في حين تزخر السواحل الصحراوية بالصيد البحري الوفير ويستغل من قبل شركة (آسبانو أفريكانو) وهي تعتبر مناطق صيد عذراء وأفره والإحصائيات توضح بأن أسبانيا استخرجت (٤٥) آلف طن من السمك ومنحت امتياز لليابان بـ٣٠٠ آلف طن، وجزر الكناري (٢٥٠) ألف طن وجنوب أفريقيا (١٠٠) ألف طن ودول أخرى بـ(١٢٠) ألف طن[١١].

المبحث الثالث
الأهمية الإستراتيجية لإقليم الصحراء الغربية

للصحراء الغربية أهمية استراتيجية مهمة ومنذ قرون خلت وأهميتها تقع ضمن أهمية المغرب العربي ككل (الشمال الأفريقي) فهو تاج أفريقيا والقاعدة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط فلم تكن الدراسة الجيوبولتكية التي أعدها العالم (هالفوردماكندر) عبثاً عندما حدد موقع الوطن العربي داخل منطقة السويداء (Heart land) ومن يسيطر عليها يسهل سيطرته على جزيرة العالم[١٢].

تعاقب الأحداث الدولية وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك حلف وارشو بزوال القوة الشرقية العظمى فقد أصبح المجال مفتوحاً لامتداد السيطرة الأمريكية خاصة والأوروبية عامة بل من المنظرين الجيوبولتك من الأمريكان من أعتبر المحيط الأطلسي بحيرة أمريكية وبالتالي فمجال البحر الأبيض المتوسط هو ضمن الحدود الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية وبعد أن أصبحت الصحراء الغربية مشكلة دولية كانت هذهِ المؤثرات واضحة جلية في صراع النفوذ الغربي عليها مما أضفى عليها كما أسلفنا سمة التعقيد.

وبما أن العالم أصبح جزيرة صغيرة ومصالحها متباينة ومتشابكة فلا بد أن تلجأ الدول المعنية بالصحراء الغربية (المغرب– موريتانيا– الجزائر– إسبانيا) للولوج إلى الدول العظمى من أجل مساندة ما تعتبره حقها في الصحراء الغربية وهذا ما كان فعلاً عبر تداول هذهِ القضية في أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي خاصة مما يضفي على القرارات الصادرة منها ما يخدم مصالحها ونفوذها ومناطقها التي تعتبرها حيوية لأمنها الدولي والاقتصادي.

مما لاشك فيه أن الدول الأوربية والولايات المتحدة يهمها بشكل مباشر وجوب ضمان حرية مرور النفط والتجارة الدولية التي هي عصب وجوهر النظام الرأسمالي لذلك فان وضع المشكلة الصحراوي ضمن مساومات هذه الدول لبقاء هذه المشكلة تحت السيطرة على المنافذ الإستراتيجية بالغة الخطورة ولذلك اكتسب موقع الصحراء الغربية وما إثارته من نزاعات إقليمية ومؤثرات ومصالح إستراتيجية دولية هذه الأهمية علما ان حوض البحر الأبيض المتوسط أصبح بحيرة دولية تجول فيه الأساطيل غربية وشرقية للمحافظة على أية تطورات مفاجئة من هيمنة إحدى القوى الكبرى على مصالح أوربا عامة عبر هيمنتها عن مقتربات حوض البحر الأبيض الذي يقع ضمنه ممر قناة السويس شرقا ومضيق جبل طارق غربا.

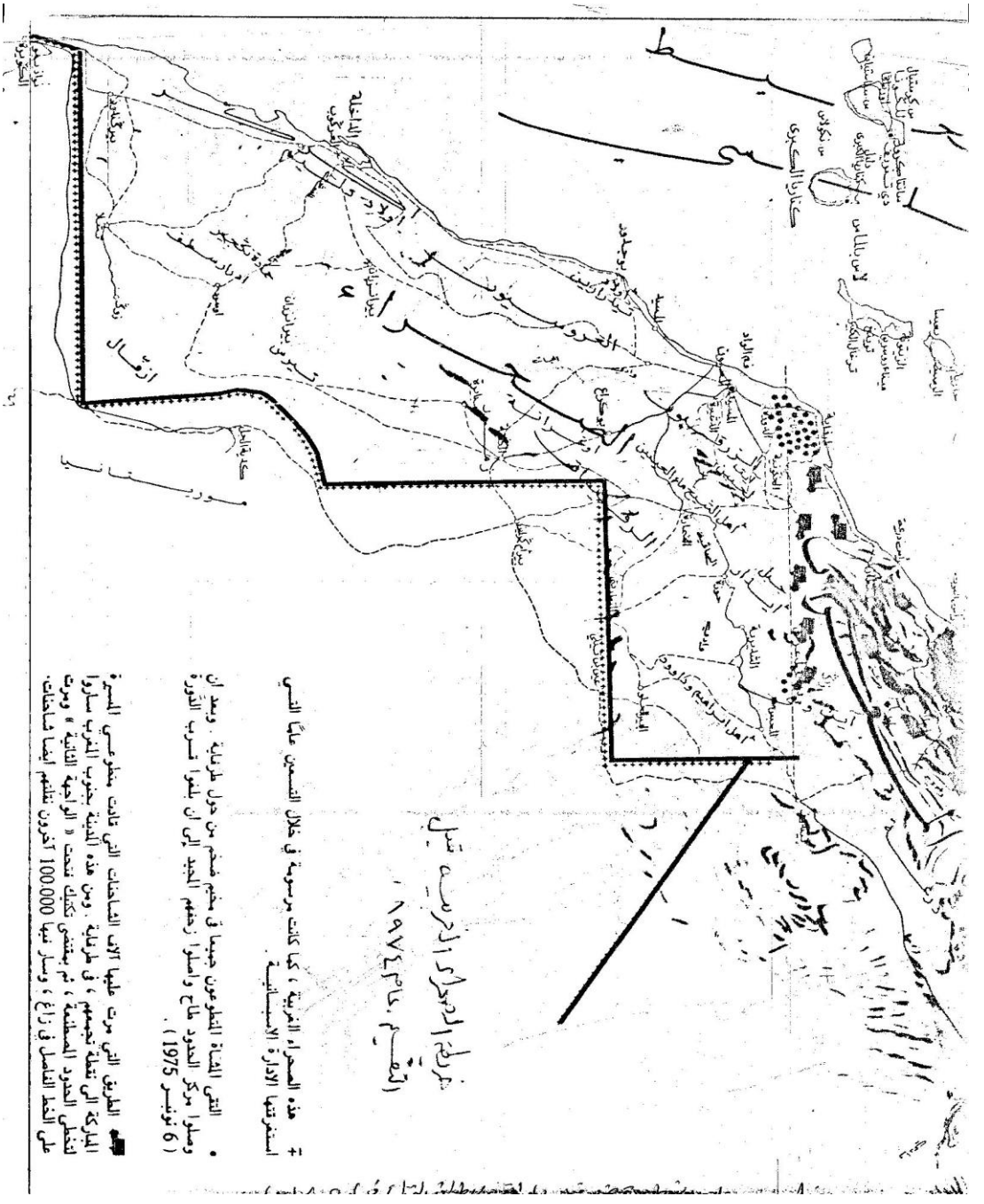

+ هذه الصحراء الغربية ، كما كانت مرسومة في خلال الخمسين عامًا التي استعرضتها الإدارة الإسبانية .

• التي الفتاة المتطوعون جميعا في مخيم ضخم من خيام طرفاية . وبعد ان وصلوا مركز الحدود طاح واصلوا زحفهم الجديد إلى ان بلغوا شرب القورة (6 نوفمبر 1975) .

■ الطريق التي مرت عليها الآلاف الشاحنات التي قادت بتطوعي المسيرة البركة الى نقطة تجمعهم ، في طرفاية . ومن هذه المدينة جنوب المغرب سلكوا لتخطي الحدود المصطنعة ، ثم يمتضي تكتلك تتحت « الواجهة الثانية » ومرت على الخط الفاصل في زاغ ، وسار فيها 100.000 آخرون تنظيم ايضا شاحنات.

□المبحث الرابع
□ مواقف الدول المعنية بالصحراء الغربية

مما لا شك فيه أن تحديد مواقف الدول من آية مشكلة تواجهها يتم تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية تؤدي بالنهاية إلى صياغة مواقف محددة وتحاول استخدام كل ما لديها من قوة سياسية واقتصادية وعسكرية كأداة للوصول إلى تحقيق مصالحها

وسنستعرض مواقف الدول المعنية بالصحراء الغربية.

١- موقف المملكة المغربية:

الموقف المغربي مر بمراحل متعددة منذ بداية الاستقلال أولها إعلان الزعيم المغربي علال الفاسي قبل الاستقلال ووضع خريطة تحدد الحدود الجغرافية للمغرب الكبير[١٣]، وقد آثار هذا الطموح السياسي للحركة الاستقلالية المغربية حفيظة الجزائر وفرنسا، فقد أعلنت فرنسا أنها لم تمنح الاستقلال للملك المغربي إلا بشروط منها حل جيش التحرير الوطني المغربي[١٤] ثم تلته خطوة أخرى لهذا التحجيم بإعلان الكيان الموريتاني بعد أن وافق المغرب على ذلك بعد الاستقلال في ٢١ آذار ١٩٥٨ وفعلاً أعلنت فرنسا استقلال موريتانيا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٠ مما أوجد معارضة موريتانية وجزائرية للموقف المغربي.

الاعتراف المغربي بموريتانيا.

انتهت المطالبة المغربية بموريتانيا بعد أن اعترفت بالحدود الطبيعية لموريتانيا نهائياً وترسيم الحدود بين البلدين في ٢٤ نيسان ١٩٧٦ وقد كان للرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين الدور الفعال في ذلك أبان انعقاد المؤتمر الإسلامي في الرباط في أيلول ١٩٦٩، وسعت الدبلوماسية المغربية إلى كسب ود موريتانيا دولياً تجاه الصحراء وأدى ذلك إلى اصطفاف موريتانيا مع المغرب ابان اتفاقية مدريد الثلاثية ثم ما لبثت موريتانيا أن تخلت عن الصحراء إلى المغرب كراهية محاولة عدم الانزلاق بحرب لا تحمد عقاباها مع البوليساريو وأصبح هناك قطبين رئيسين في المشكلة الصحراوية المغرب والبوليساريو.

الانسحاب الاسباني وتفاقم النزاع الإقليمي:

يعتبر الإعلان عن توقيع الاتفاقية الثلاثية بين المغرب وموريتانيا واسبانيا في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥م نقلة نوعية في العلاقات بين دول المغرب العربي ويمكن ان تعتبرها تحول جذري بين مرحلتين ما قبل الاتفاقية وما بعدها فقد عقدت مؤتمرات عديدة بين المغرب وموريتانيا والجزائر قبل الاتفاقية كلها تؤكد على صيغة توثيق التعاون الإقليمي وتحقيق الأهداف النبيلة لتشيد صرح عتيد للمغرب العربي بإتباع سياسة الحوار والتعاون المشترك وحققت اتفاقيات ومعاهدات لتكريس هذا المفهوم ومن هذه الاتفاقيات:

١. اتفاقية نواذيبو في ١٤/ أيلول ١٩٧٠ وأنشأت خلالها لجنة تنسيق ثلاثية لحل الخلافات التي قد تنشأ بين الدول الثلاث.
٢. لجنة التنسيق الثلاثية في الجزائر ٤ كانون الثاني ١٩٧٢.
٣. مؤتمر وزراء الخارجية في نواكشوط ٩ أيار ١٩٧٣.
٤. مؤتمر قمة أغادير في ٢٤ تموز ١٩٧٣.
٥. القمة الموريتانية المغربية في ١٢ حزيران ١٩٧٥.
٦. القمة الجزائرية المغربية في الرباط ٤ تموز ١٩٧٥.
٧. القمة الجزائرية الموريتانية في منطقة بشار الجزائرية ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥. وفيه ظهرت بوادر تأزم العلاقات عندما أعلمت الجزائر موريتانيا بالاختيار أن تكون معها أو مع المغرب.

أما مرحلة ما بعد الاتفاقية توزعت عناصر الصراع بين جبهتي المغرب وموريتانيا من جهة والجزائر والبوليساريو من جهة أخرى بعد انسحاب اسبانيا من الصحراء وقد تضمن اتفاقية مدريد الثلاثية عام ١٩٧٥ بنود منها:

١. تؤكد اسبانيا قرارها بالجلاء عن الصحراء الغربية وتتوقف عن كونها دولة تدير الإقليم.
٢. أدارة الإقليم تسلم مباشرة إلى إدارة مؤقتة مشتركة بين المغرب وموريتانيا والجماعة الصحراوية وسوف يعين حاكم اسباني عام يساعده حاكمان احدهما مغربي والأخر موريتاني وسوف تتهيأ للجلاء قبل ٢٨ شباط ١٩٧٦م.

٣. احترام الرأي العام الشعبي المعبر عنه من قبل الجماعة الصحراوية كما تضمنت الاتفاقية تقاسم حصص الموارد وخاصة الفوسفات فأصبحت حصة المغرب ٦٥٪ منها ١٤٪ لموريتانيا وتكون حصة اسبانيا ١٤٪.
٤. كما تضمنت الاتفاقية أن تحتفظ اسبانيا بقاعدة أو قاعدتين عسكريتين في الصحراء الغربية كما تتغاضى المغرب عن مطالبها في سبتة ومليلة والجزر الجعفرية الى وقت ما.

وقد شجبت الأمم المتحدة اتفاقية مدريد الثلاثية باعتبارها خرقا لمبدأ حق تقرير المصير للشعوب والتي أبرمت دون استشارة سكان الصحراء(١٥).

٢- موقف الجمهورية الموريتانية الإسلامية:

بعد استقلال موريتانيا عام ١٩٦٠ وقبولها عضواً في الأمم المتحدة أعلنت مطالبتها بالصحراء الغربية واعتمدت على الأسس نفسها التي قدمتها المغرب بأسانيد الكتاب الأبيض الصادر من قبل وزارة الخارجية المغربية والتي تعتبر وحدة الأراضي الممتدة من موريتانيا وحتى الحدود المغربية والمعروف ان موريتانيا تعتبر الحلقة الأضعف في الصراع وانسجت من حلبة الصراع عن الصحراء لصالح المغرب كما ان هناك وجود صلات قبلية بين سكان موريتانيا وسكان الصحراء وتتمتع البوليساريو بتأيد شعبي داخل موريتانيا.

ومضمون الكتاب الأبيض المغربي عام ١٩٦٠ يعتمد على أسس من أن موريتانيا والصحراء كلاً لا يتجزأ وأن الصحراء الغربية «جغرافياً وتاريخياً الساقية الحمراء ووادي الذهب جزء من موريتانيا وسكانها قبائل موريتانية تنتقل بين الساقية الحمراء ووادي الذهب ويجمعها القرابة ووحدة الدم»(١٦)، وقدم هذا إلى لجنة تصفية الاستعمار التابعة للأمم المتحدة وأن تعلن موريتانيا رغبتها في مباحثات مباشرة مع إسبانيا حول الموضوع(١٧).

وكان انسحاب موريتانيا من حلبة الصراع بفعل عوامل داخلية لضعف الموارد وتدني مستوى جيشها في مقارعة حرب مع البوليساريو وكذلك الضغوط الجزائرية ويبدو أن كثير من الموريتانيين يميلون إلى دعم البوليساريو لوجود علاقات قبلية متشابكة مع سكان الصحراء وكذلك لها تخوف من الأطماع المغربية وفضلت القيادة الموريتانية أن تكون المواجهة مع المغرب عبر البوليساريو وبشكل غير مباشر.

٣- موقف الجمهورية الجزائرية الاشتراكية الديمقراطية:

كان إعلان الحركة الوطنية المغربية خارطة المغرب الكبير والذي يضم أراضي جزائرية له الدور الفعال في اتخاذ الجزائر موقف صلب تجاه المغرب مستخدمة كل الإمكانات التي تتمتع بها في الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية سياسياً وإعلامياً بل تعدى ذلك إلى احتضان الجزائر لحركة البوليساريو وتقديم العون الإعلامي واللوجستي للقيام بحرب عصابات ضد المغرب وعلى طول الحدود الصحراوية المغربية الشاسعة واتخذت البوليساريو مدينة تندوف الجزائرية نقطة انطلاق لمواجهة الجيش المغربي عبرّ قتالٍ دام، استطاعت البوليساريو أن تفرض سيطرتها في كثير من الأحيان عسكرياً بل وأسرت المئات من القوات المغربية، وتبنى الجزائر مفهوم حق تقرير المصير الذي يتناغم مع كون النظام الجزائري يستند إلى مفهوم اشتراكي ديمقراطي فالشعب الجزائري ممثل ديمقراطياً عبر جبهة التحرر الوطني الجزائري في حين ان المغرب ذو النظام الملكي الدستوري وثيق الصلة مع الدول الغربية والرأسمالية العالمية وأعطى هذا للصراع الجزائري عبر البوليساريو ضد المغرب بُعداً آيديولوجياً وقد استطاعت الجزائر أن تحقق وتضمن لجمهورية الصحراء العربية مقعداً دائماً في منظمة الوحدة الأفريقية ويعد اندحاراً للدبلوماسية المغربية التي انسحبت من المنظمة على أثر إعلان قبول الصحراويين فيها.

وأستند الموقف الجزائري أيضاً على المدى الواسع لتأييد حق تقرير المصير في الجمعية العامة للأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية ودول عدم الانحياز التي كانت الجزائر من أبرز أعضائها مما أعطى لها ثقلاً سياسياً واسعاً استخدمته لإسناد حركة البوليساريو إفريقياً ودولياً.

٤- موقف سكان الصحراء الغربية:

منذ العام ١٩٧٠ ظهرت بوادر لتنظيم حركة مسلحة ضد الوجود الأسباني في السابع عشر من حزيران من العام ذاته تصدى سكان الصحراء للسياسة الأسبانية الداعية إلى ضم الصحراء باعتبارها أرضاً أسبانية وجرت معارك طاحنة في منطقة العيون حال دون

تمكن أسبانيا من تحقيق ذلك واضطرت اسبانيا إلى فكرة إنشاء كيان صحراوي موال لها وأصدرت مذكرة أكدت فيها على الموقف الاسباني حيال الصراع الصحراوي وجاء فيها(١٨):

١- إسبانيا مصممة العزم على الدفاع عن حقوق السكان المحليين.

٢- الشعب الصحراوي له نصيبه في أية ثروة معدنية في الإقليم.

٣- الصحراء ملك الصحراويين وهو وحده قادر على حق تقرير المصير.

وقد فشلت أسبانيا قبل ذلك باحتواء الصحراويين من خلال محاولتها تأسيس الجماعة الصحراوية كواجهة سياسية لحماية مصالحها.

وقد تشكلت تنظيمات سياسية وعسكرية في داخل الصحراء ضد الوجود الاسباني ومن هذهِ التنظيمات:

١-**حركة الرجال الزرق** (*Morehob*)

أنشأتها المغرب لكسب ود الصحراويين ترأسها (موحا) بهدف توحيد الصحراء مع المغرب واتخذت من المغرب موطأ لها وتتكون من لجنة مركزية وثلاثة قياديين وجناحي للعمل السياسي والعسكري وأخيراً اندمجت مع جبهة التحرير والوحدة(١٩).

٢-**جبهة التحرير والوحدة** (*FLu*) *Front For Libration and Unity*:

أسست في شباط ١٩٧٥ وقامت بدعم مغربي واسع تسعى لتحقيق الوحدة، معها وأعلنت الحركة أن دعوة الجزائر لإعلان حق تقرير المصير مؤامرة جزائرية ليس إلا(٢٠).

٣-**حزب الاتحاد الوطني الصحراوي** (*PUNS*) *Port ido Liberation Nacional de Sahara*

وهو الحزب الوحيد المجاز من قبل الحكومة الأسبانية أنشأ في ١٦ شباط ١٩٧٥ وقد تضمن برنامج الحزب في أول مؤتمر له إلى صياغة أربعة عشرة فقرة أولها: الدعوة إلى حكم دستوري وفصل السلطات الثلاث.

وقد تخلى رئيسه السابق (خالي حنه الرشيد) عن القيادة إلى (دويح سيدنا نوشه) أميناً عاماً لها وقد أنضم معظم كوادر الحزب إلى حركة البوليساريو فيما بعد(٢١).

٤- **الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب** (*Plisario Frente Popular Para La Liberation de Sakiet Elhamra Rio Deoro*).

أنشأت الحركة عام ١٩٦٦ وكان عملها آنذاك سرياً وقد استطاعت أن تستقطب أغلب الصحراويين في حين تذكر مصادر أخرى أنها تأسست في ٢٠ أيار ١٩٧٣ وهو المرجح وكان مقرها موريتانيا ثم الجزائر وتذكر مصادر الحركة أن انتقالها للجزائر بسبب ضغوط موريتانية لتحويلها إلى حزب سياسي دون حركة عسكرية[٢٢].

وتسعى الحركة لنيل الاستقلال الناجز للصحراء وعقدت أول مؤتمراتها عام ١٩٧٣ وضعت فيه الهيكل السياسي للجبهة وتم انتخاب المكتب السياسي ولجنة تنفيذية من ثلاث مدنيين وعسكري واحد لإدارة الحركة سياسياً وعسكرياً.

وحركة البوليساريو قد استحوذت على أكبر نفوذ وتأييد في الصحراء وأصبحت الناطق الرسمي الوحيد لسكان الصحراء وحظيت بموافقة دولية واسعة بتمسكها بخط استيراتيجي سياسي مطابق لأهداف الأمم المتحدة طبقاً للقرار (١٥١٤– د١٥) الذي ينص على حق تقرير شعب الصحراء الغير قابل للتصرف وقد ساند هذا الموقف لجنة تصفية الاستعمار والتي ارتأت تشكيل لجنة خاصة لتنظيم الاستفتاء طبقاً للقرار (٢٢٢٩– د٢٠) كان نهايتها تنازل أسبانيا عن الصحراء في ١٩٧٥م بعد ضغوط وقرارات تؤكد حق تقرير المصير لسكان الصحراء.

استطاعت البوليساريو أن تخطوا خطوة متقدمة لقطع الطريق على المغرب في استمرارية تمثيلها لسكان الصحراء الغربية وبتشجيع من الجزائر أعلنت البوليساريو قيام (الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية) في ٢٧ آذار ١٩٧٦، وجاء من مبررات الإعلان «أن الشعب العربي في الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية قد عقد العزم على حماية استقلاله ووحدة ترابه والسيطرة على موارده وثرواته الطبيعية يجاهد مع كل الشعوب المحبة للسلام للعمل على تدعيم السلم وتناشد المجتمع أن يساهم في بناء وتنمية الدولة الجديدة»[٢٣].

وسعت الجزائر لتكثيف تحركها السياسي حتى داخل أسبانيا بالتعاون مع الأحزاب اليسارية والتي تمخضت بالنهاية عن دعم إسبانيا لحل سياسي عادل للمشكلة الصحراوية[٢٤]، وهذا يصب في إطار دعم لحركة البوليساريو دولياً، وقد تبع إعلان الجمهورية الصحراوية تشكيل حكومة وأنتخب محمد الأمين ولد احمد رئيس لوزرائها[٢٥].

والدعم الدولي الذي حظيت به البوليساريو من قرارات الأمم المتحدة كان نتيجته رضوخ المغرب لإجراء مفاوضات مباشرة مع البوليساريو ولكن ضمن مفهوم الحكم الذاتي الموسع في أطار المغرب وهو أمر قد رفض لحد الآن من قبل البوليساريو فأصبح هناك حلين للمشكلة الصحراوية مطروحة ثنائياً ودولياً الاندماج مع المغرب أو قيام دولة صحراوية جديدة لتنظم إلى دول المغرب العربي.

المشكلة الصحروايا الآن:

بعد موافقة المغرب على مبدأ الاستفتاء الذي طرحته الأمم المتحدة في مؤتمر نيروبي عام ١٩٨١ لاح أمل بوجود أرضية جديدة لحل المشكلة ولكن عملية الاستفتاء دخلت في نفق مظلم واستمر الجدل دام عقد من السنين بذريعة من هو الصحراوي؟ وما هي صيغة الاستفتاء؟ هل هو انضمام كلي للمغرب أم لقيام كيان صحراوي مستقل؟ وكان نتيجة الضغوط الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ما أرهق كاهل الأنظمة المعنية التي قبلت مبدأ التفاوض طبقا لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٣٠٩ عام ٢٠٠٠م بتبني المبادرة الفرنسية الأمريكية والتي عرفت (بالحل السياسي) لان هناك اعتبارات إقليمية دولية أفرزت هذه الفرضية فاختلال التوازن الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على اتخاذ القرارات الدولية عامة وهي القطب الأوحد المؤثر دوليا في حين ان فرنسا شجعت الحوار والتفاوض لكسب ود المغرب المرتبط بها اقتصاديا وسياسيا كما أنها لم تفرط بالعلاقات الاقتصادية والتاريخية التي تربطها مع الجزائر ولذلك أعلن الأمين العام للأمم المتحدة سابقاً كوفي عنان في كانون الأول ١٩٩٩ عدم أمكانية تطبيق الخطة الاستفتائية وقد ارجع ذلك إلى الظروف الأمنية داخل الصحراء والطعون المقدمة من قبل القبائل الممثلة للصحراوين والتي بلغت (١٣٥) ألف طعن لقرار الاستفتاء وبذلك عجزت الأمم المتحدة من اتخاذ قرار سياسي محدد يرضي الأطراف لإنهاء المشكلة. والمباشرة بالتفاوض بين المغرب والبوليساريو واتخذ مجلس الأمن الدولي قرارا بذلك طبقاً للمذكرة رقم ١٣٠٩ في ٢٥ تموز ٢٠٠٠ باللجوء إلى الحل السياسي الذي وافقت عليه البوليساريو والمغرب. وكان المغرب قد أيد الموقف ذلك في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠ وبعد انتخاب بان كي مون أمينا عاما للأمم المتحدة خلفا لكوفي عنان سار على نفس الخطى السابقة في تهيئة الظروف المناسبة لحل سياسي ولحد ألان لا يبدو أن هذا الظرف قد حل أوانه.

الاستنتاج

بعد أن تناولنا المشكلة الصحراوية ومن كل زواياها وبيان العوامل المؤثرة فيها داخليا وخارجيا تبين أن الأسباب التي أدت إلى تفاقمها وعمقت الخلافات بين دول المغرب العربي متداخلة ويصعب التمييز فيما بينها هل هو سياسي أم اقتصادي أم عقائدي أم له محفزات دولية أو أن كل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت في بلورتها على الشكل الذي نشهده عليها اليوم ومع ذلك نؤشر بعض الملاحظات الرئيسة حول الموضوع ومنها:

١- تباين الأنظمة السياسية عقائديا وخاصة بين المغرب ذو النظام الملكي المستند بقيامه على مبررات وحجج دينيه باعتباره وريث لسلطان دول المغرب السابقة التي وحدت المغرب، وبين الجزائر ذات النظام الجمهوري الاشتراكي ولا توجد صلة تواصل بين النظامين بعد تفاقم الأزمة الصحراوية.

٢- محاولة كل طرف معني استخدام الأوراق التي بحوزته للتأثير بالأزمة والحصول على مغانم سياسية أو اقتصادية أو رضى أطراف دولية أخرى.

٣- انفلات المشكلة الصحراوية من التداول العربي إلى المحافل الدولية ويؤشر ضعف الجامعة العربية ميثاقا ودستورا أن يكون لها القدرة على حل المشاكل ذات الأطراف العربية بل هي عاجزة بشكل مأساوي وتلعب دولة المقر المضيفة دور في تحديد سياستها بل حتى في اختيار أمينها العام وموظفيه.

٤- من حسابات الربح والخسارة على مستوى جميع الأطراف المعينة كانت اسبانيا الدولة المحتلة لإقليم الصحراء هي الرابح الوحيد فقد كسبت مغانم سياسية واقتصادية في الصحراء باعتبارها اتخذت قرار الانسحاب في عام ١٩٧٦ مواكبا للإرادة الدولية. كما أنها ضمنت سكوت المغرب من مطالبة اسبانيا بالجلاء عن الأراضي المغربية (سبتة ومليلة والجزر الجعفرية).

وإزاء ما تقدم فأن الأطراف المعينة لم تبد قدرا من المسؤولية القومية لبناء مغرب عربي واحد متجاوزا النزاعات الإقليمية وهي رغبة شعب المغرب العربي عموما. وقد لعبت الأنانية الإقليمية للأنظمة المعنية دور في تعطل الحلول او تعقيدها وعلى حساب الأطراف الأخرى. بل وأصبحت المشكلة الصحراوية للدول المعنية درع وحصن لا يجوز لمواطنيها من

المطالبة بأية مشاركات ديمقراطية في إدارة الحكم وتعليق الإخفاقات في تحقيق مستوى معاشي متقدم بحجة الانشغال بالمشكلة الصحراوية ولا يبدو في نهاية النفق المظلم بوجود حل ينهي هذه الأزمة على المدى القريب.

هوامش البحث

(١) Africa south of sahara- 1976 Europ publicatlon limited p.964.

(٢) Ibid.

(٣) مجلة الهدف الفلسطينة البيروتية العدد ٣٠٦، ١٩٧٥.

(٤) Africa south- p.964.

(٥) Ibid.

(٦) الهدف البيروتية، العدد ٣٠٦، ١٩٧٥، ص٣٧.

(٧) Ibid- p.964.

(٨) محمد المغربي، الساقية الحمراء وزارة الدولة المغربية المكلفة بالأعلام، ص١١.

(٩) Middle east north Africa. 1971- p.529.

(١٠) الهدف البيروتيه العدد ٣٠٦، ١٩٧٥.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) Robert Strsuz. Hup. Geopolitcs and strnggle for space and power new yourk- 1942- p39.

(١٣) الحدود الطبيعية للمغرب الكبير بموجب خريطة حزب الاستقلال المغربي تضم كل موريتانيا وجزء من الأراضي الجزائرية وهي (كولمي، بشار، الصويرة، تتدوف وتات) وتمتد حدودها إلى الملوية وحتى نهر النيجر والسنغال وتبلغ مساحتها ضعف مساحة المغرب الحالي.

(١٤) مذكرة السفارة الفرنسية لوزارة الخارجية المغربية في الأول من آذار ١٩٥٧ تحت رقم ٨٩١٥.

(١٥) قرار الجمعية العام للأمم المتحدة المرقم ٣٤٥٨ د٣٠ في ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٦.

(١٦) مجلة الأهرام المصرية العدد الأول عام ١٩٦٤ مقابلة مع المختار ولد دادا الريت الموريتاني آنذاك.

(١٧) وثائق الأمم المتحدة الدورة العشرين رقم ١، (ج-ع-٦٠٠١).

(١٨) أصدرت الخارجية الأسبانية مذكرة في ١١ أيار ١٩٦٧، بتأسيس الجماعة الصحراوية بمثابة برلمان صحراوي يضم (١٠٣) أعضاء.

(١٩) Africa south of sahara 1976- p.960.

(٢٠) وثائق الأمم المتحدة (رقم A,10023, Revil، الفقرة ٢٢٥).

(٢١) صحيفة الصحراء الحرة الناطقة باسم الجبهة الصادرة في الجزائر عدد ٥ يونيو ١٩٧٦.

(٢٢) المصدر السابق.

(٢٣) خطاب وزير الخارجية الأسباني في الأمم المتحدة بوثيقة رقم ١١٨٨ عدد ٣٢.

(٢٤) بيان إعلان الجمهورية العربية الصحراوية في ٢٧ شباط ١٩٧٦ الموافق في ٢٦ صفر ١٣٩٦ في بئر الحلو.

(٢٥) Africa south of sahara, 1977- Europa publication limited.

المصادر

١- الوثائق:

١-مجلد المسيرة الخضراء لمحمد المرادجي (فلسفة الحسن الثاني ١٩٧٦م، طبعة لندن).

٢- الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الخارجية المغربية، تشرين الثاني، ١٩٦٠م.

٣- الساقية الحمراء ووادي الذهب، وزارة الدولة المكلفة بالإعلام، مطبعة الايناد المغربية، ١٩٧٥م.

٤- مذكرة إعلان تأسيس الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية، ٢٠ مايس ١٩٧٦م.
٥- الوثيقة الدستورية للجمهورية الصحراوية في منطقة بئر الحلو ٢٨ شباط ١٩٧٦م.
٦- دوريات مكتب الأمم المتحدة في بغداد، قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي المتعلقة بالملف الصحراوي.

٢- الكتب العربية:

١- المهدي بن بركة، الاختيار الثوري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦م.
٢- جلال كشك، المسيرة الخضراء، ملحمة ملك وشعب، لندن، ١٩٧٦م.
٣- صلاح العقاد، المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي إلى التحرير القومي، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٤- علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى إصدار جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣- الدوريات:

١- مجلة الأهرام المصرية، العدد الأول، ١٩٦٤م.
٢- مجلة رسالة أفريقيا الصادرة عن الجمعية الأفريقية بالقاهرة.
٣- مجلة السياسة الدولية الصادرة عن مؤسسة دار الأهرام بالقاهرة. أعداد معنية بالصحراء الغربية
٤- مجموعة مجلد الهدف البيروتية الناطقة باسم الجبة الشعبية لتحرير فلسطين، بيروت.
٥- صحف الجمهورية العربية الصحراوية أعداد متفرقة طبع الجزائر.

٤- المصادر الأجنبية:

1- Africa south of Sahara 1967 Europ publication limited.

2- Robert Strsuz Hup Geopolitics and struggle for space and power New York- 1942.

3- Maghreb – la Documentation of frameless publication No. 71-1976.